أسباب و عوامل اضطرب السلوك

تشترك في تكوين السلوك المضطرب مجموعة من الأسباب و العوامل التي تساهم بشكل مباشر أو غير مباشر في تكوين مختلف مظاهر الاضطراب ، و مصطلح العامل LE FACTEUR في حد ذاته لا يجزم لنا أنه السبب في السلوك ، ولكن على الاقل يرتبط بوجود ذلك السلوك

و نجد هنا كل ما يدخل في نطاق الاضطرابات النفسية الناجمة عن الصادمات المتعلقة بطفولة الأولى ، و تعرض الفرد للإحباط و الشعور بالنقص الذي قد يعوضه في مظاهر سلوكية مضطربة و جانحة . أيضا محاولة التخلص من الشعور بالذنب ، إضافة إلى مشاعر الكراهية نحو أحد الوالدين أو كلاهما جراء الحرمان الذي يكون قد تعرض إليه .

وسوف نعرض مجموعة من الأسباب و العوامل التي تشترك في اضطراب السلوك وفق محطات عمرية

1- مرحلة الجنينية

الحالة النفسية و المزاجية التي تمر بها الأم أثناء مرحلة الحمل التوتر و القلق و عدم الرغبة في الحمل و الانجاب من الأساس. هناك دراسات تؤكد ان التوحد يبدأ مع تشكل الجنين في الرحم .

2- مرحلة الرضاعة

و هنا تتجلى العوامل النفسية في سن مبكرة من خلال بعض الممارسات الوالدية – الأم – الخاطئة مثل جهل الأم أسس الرضاعة ، الفطام المبكر أو المفاجئ ، قلق الأم أثناء عملية الرضاعة ، رفض الأم للرضيع و كل مظاهر الحرمان ، وعدم استقرار الأم أو بديل الأم.

3- **الطفولة المبكرة من 3 الى 5 سنوات**

تعتبر الأسرة أول جماعة تحدد تصرفات و سلوك الفرد فهي التي تشكل حياته ، و تضفي عليه من خصائصها و طباعها ، وهي عربة الوعي الجماعي ، و التراث القومي الحضاري ، فهي التي تنقل هذا التراث من جيل إلى اخر ، وهي مصدر العادات و التقاليد ، وقواعد السلوك و الاداب العامة ، و يرجع إليها فضل التنشئة الاجتماعية ، لأن الطفل لابد ان يروض ليكون كائن اجتماعي ، و الأسرة هي المعلم الأول التي يقوم بعملية الترويض ، و التطبيع الاجتماعي و الثقافي.[1]

[1] - علي الحوات ، **مبادئ علم الاجتماع** ، منشورات الجامعة المفتوحة ، بنغازي ، 1990 ، ص : 244.

و عليه عندما يضطرب اداؤها و تختل مهمتها فان لذلك انعكاسات خطيرة على حياة ابنائها و سلوكهم لأنها تصبح في هذه الحالة عبارة عن واقع مجوف يفتقد إلى التضامن و الشعور بالتواصل الاجتماعي والاحساس بالوحدة العاطفية[2] ، و من بين مظاهر السلوكية المضطربة التي نجدها داخل الأسرة :

← **الأساليب التربوية الخاطئة و القاسية من الوالدين على الأبناء**

ان الطريقة التي يستخدمها الآباء في العقاب في الثواب او العقاب و الاستحسان أو الاستهجان هي احد المحتمات اي احد الاسباب السيكولوجية الهامة في اضطراب السلوك ، و نذكر الاساليب على النحو الاتي :

* **الاهمال :** مصدر للشعور الطفل بانعدام الامن ، ومن اشكاله ترك الطفل دون تشجيع على اي سلوك كان ، عدم تلبية مطالب الطفل الأساسية ، الانكار ، الحرمان ، النقد ، اصرار الطفل على اهداف لا يمكن تحقيقها ، ورد فعل الطفل هنا اما الانسحاب او ان يصبح مهاجم .

* **الحماية الزائدة :** مقصود بها منع الطفل من أن ينمي استقلالية في تفاعلاته مع البئية ، و يتمظهر في دلال الطفل أو السيطرة عليه و التحكم في كل اختياره ، التدخل في شؤونه ، وعدم اعطائه حرية التصرف.

وتؤدي الحماية الزائدة الى عدم اتزان الطفل و عدم نضجه انفعاليا ، وهو ما يؤدي بهم لاحقا الى استغلال العلاقات الانسانية استغلالا انانيا ما يمنع تكوين علاقات مستقبلية.

* **التسلط و النظام المبالغ فيه :** ان فرض متطلبات تفوق قدرات الطفل أو تحتيم قواعد بصورة متعسفة وجامدة مع منع الطفل من تحقيق رغباته وإلزامه بشروط معينة و قاسية ،كلها من مظاهر تسلط الوالدين. ونأخذ على سبيل المثال التدريب على النظافة وعملية الاخراج فضغط الأم المستمر و القاسي و المتزمت يؤدي بالطفل الى العناد .

* **التذبذب في المعاملة :** المقصود تعطاء قيمتين مختلفتين لنفس السلوك ، بمعنى اذا صدر سلوك سيء من طرف الطفل يعاقب عليه و مرة اخرى اذا صدر نفس ذلك السلوك يثاب عليه، هنا الطفل لا يتعلم المعيار الصحيح .

* **التميز و التفرقة بين الأبناء :** عدم المساواة و العدل في التعامل مع جميع الابناء ، ما قد يثير مشاعر الغيرة و الكراهية بين الاخوة ويسبب عقدة النقص للطفل.

---

[2] - صلاح العزي ، **دور التنشئة الاجتماعية في الحد من السلوك الاجرامي ،** غيداء للنشر و التوزيع ، عمان ،2010 ، ص : 149.

ومكننا اضافة اسباب و عوامل اخرى هي بعيدة عن اساليب المعاملة الوالدية و لكنها تحدث داخل الأسرة قد لا تكون مباشرة و موجهة نحو الطفل و انما تترك عليه اثار و انعكاسات عديدة نذكر هنا :

– التفكك الاسري و لـه مظـاهر عديـدة : فقدان احد الوالـدين او كليهمـا ويكـون هذا الفقدان بـالموت او المرض او السجن وتفكك الروابط العائلية بالطلاق او الانفصال .

و قد تؤدي مشكلة تفكك الأسرة إلى أن يبحث الحدث عن مصدر اخر للسلطة يضع له حدود ، ويطمئن إليه ، ويتبعه ، و يجد الحدث هذا المصدر عادة في أصدقائه ، فيهتم بأحكامها و ارائها و تقاليدها ، ويتبعها في كثير من نواحي نشاطه.[3]

– انحراف أحد أوكلا الوالدين : مثل ادمان الوالدين أو اجرامهما.

– غياب القيم الاجتماعية و الاخلاقية ونقص الوازع الديني داخل الاسرة.

– العنف الاسري الممارس من الوالدين على الابناء سواء العنف المادي أو المعنوي ، او حتى المشاكل الزوجية المستمرة والعنف الممارس على الأم ، و التي تنعكس سلبا على الأبناء.

– انخفاض المستوى التعليمي والثقافي للوالدين .

– قلة المراقبة والمتابعة من الوالدين فقد يرجع ذلك إلى عمل الوالدين و الغياب الطويل عن المنزل.

4– مرحلة الطفولة و الوسطى و المتاخر و التي تتزامن و المدرسة / الرفاق / وسائل الاعلام

← المدرسة

الذهاب الى المدرسة يرادف الانفصال عن الوالدين – الام خاصة – وهنا يصبح الطفل خاضع للقوانين غير تلك التي نشأ عليها ، و من الخبرات السلبية الشائعة في المدرسة مقارنة بين التلاميذ برنامج المدرسي غير مكيف و قدرات الطفل عدم مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ، النقذ و التوبيخ و السخرية سواء من طرف الاستاذ او التنمر بين التلاميذ وعدم وجود ردع من طرف الاستاذ و الادارة ، ضعف المستوى الدراسي و التحصيلي لطفل نفسه ، و منها ما يتصل بالمدرسة مثل النظام المدرسي الصارم.

فغالبا ما تلعب العلاقة المضطربة مع المدرسة (فشل ، دافعية ، ادارك سلبي للمدرسة ....) دورا مهما في تقوية و تنمية السلوك اللاجتماعي الذي يتخطى الاطار المدرسي عامة ، و هكذا تبرز مثل هذه العلاقة ، أو مشاكل اللاتكيف الاجتماعي عند ارتباطها بعوامل اخرى خاصة ، مثل الاسرة المضطربة معاشرة أقران جانحين و يكون ذلك علامة دالة على الجناح و الانحراف.[4]

---

[3] - حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، **مشكلات المدينة** ، المكتب العربي الحديث ، الاسكندرية ، 2002 ، ص : 147.

[4] - منى فياض ، **الطفل و التربية المدرسية في الفضاء الأسري و الثقافي** ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 2004 ، ص : 128.

← جماعة الرفاق

إن عناصر البيئة الاجتماعية لا تؤثر بدرجات متساوية على الطفل في مختلف مراحل نموه ، فإذا كانت الأسرة تؤثر تأثيرا حاسما عليه في مرحلة ما قبل المدرسة ، فإن ما يحدد نمو المراهقين إلى حد بعيد هو رفاقهم وجماعاتهم .[5] وعليه تعد جماعة الرفاق بمثابة المرجعية لطفل في سن التمدرس و المراهقة ، وهي أشد الجماعات تأثيرا على شخصية الحدث وتكوين الأنماط السلوكية عنده ، وقد يكون هذا التأثير يتفق و السياق العام للمجتمع ، ومنها من تكون منحرفة عنه ، وتشير العديد من الاحصائيات أن الحدث يميل إلى ممارسة السلوك الجانح مع رفاقه ضمن تشكيل ما يسمى بالعصابة.

فمثلما تؤدي جماعة الرفاق دورها الايجابي في تنمية شخصية الحدث وتطوير مهارته الاجتماعية ، والشعور بشيء من الاستقلال العاطفي عن الأسرة ، قد تؤدي بالحدث أيضا إلى تقليد لمجموعة من السلوكات المضطربة حتى يظهر الولاء للجماعة التي ينتمي إليها ، وعلينا الاشارة هنا أن الأساليب الأسرية الخاطئة و غياب الاستقرار و الأمن داخل الأسرة ، قد يدفع لطفل للبحث عن تعويض لذلك الحرمان ضمن جماعة رفاق منحرفة.

← مرحلة المراهقة

و هي المرحلة التي يراها **كاتل Cattell** بأنها الاكثر مشاكل و الأشد اهتماما و أن الاضطرابات النفسية و العقلية تبرز في هذه المرحلة ، وهذا ما أكدته الدراسات بأن مرحلة المراهقة من أدق المراحل التي يمر بها الانسان في نموه و التأثير في حياته المستقبلية ، لأنها فترة تغيرات و تبدلات فسيولوجية و اجتماعية في جوانب الشخصية المختلفة ، و قد تؤدي إلى توترات و صراعات مختلفة ، إذا لم يحض بالرعاية و الاهتمام وتفهم حاجاته من القائمين على الرعاية.[6] إذن عدم تكيف المراهق مع المعطيات الجديدة التي ظهرت بصورة سريعة و مفاجئة (التحولات النفسية العميقة الناجمة عن مختلف التغيرات الجسمية و الفسيولوجية)،

و تعتبر المراهقة أيضا إحدى العوامل النفسية التي قد تؤدي بشكل كبير إلى جنوح الأحداث ، فالإحصائيات تشير إلى ارتفاع نسبة جرائم الحدث في الفترة العمرية الممتدة من 12 إلى 18 سنة و التي تقابل مرحلة المراهقة ، كما ان الشخصية المضادة للمجتمع على خلاف باقي الشخصيات المضطربة تبدأ اعراضها تزامنا مع المراهقة الوسطى أي في سن الخامسة عشر.

---

[5] - نعيم حبيب جعنيني ، **علم اجتماع التربية المعاصر** ، دار وائل ، عمان ، 2009 ، ص: 270.

[6] - عبد الواحد حميد الكبيسي ، صبري بردان الحياني ، **الإرشاد و التوجيه التربوي** ، مرجع سابق ، ص : 84.

← وسائل الاعلام

أوضحت بعض الدراسات أنواع البرامج التي يهتم بها الأطفال أكثر من غيرها ، مشيرة إلى أن وسيلة الاعلام هذه تنقل إلى خبرات الطفل السمعية والمرئية مشاهد تحمل في طياتها اتجاهات و قيما اجتماعية واخلاقية ، يمكن أن يتأثر الطفل بها بدرجة تعتمد على العوامل الاخرى التي تمت الاشارة إليها كما أن هذه الدراسات توضح أن هناك كثيرا من التوافق و التعارض بين ما تعلمه الطفل من مصادر اخرى و ما يتعرض له أما شاشة التلفزيون.[7]

فمن ملاحظة عدد الساعات التي يقضيها المراهقون في مشاهدة العنف المرئي عبر التلفزيون يزيد الاستجابات العدوانية للمشاهدين بنسبة تتراوح بين 5-10 % ايا كان الوسط الاجتماعي المنحدرين منه أو المستوى التعليمي الذي وصلوا اليه أو سلوك ابائهم معهم.[8]

ولوسائل الاعلام بمختلف أشكالها دور بارز في تكوين الشخصية ، و في عملية التنشئة الاجتماعية فهي تعمل على اكسابه أنماط سلوكية معينة كونها تؤثر على اتجاهات الفرد و قيمه كما أنها تساهم ببناء قاعدة اخلاقية ، ولكن هذ حسب محتوى المادة الاعلانية ، فإذا كانت تلك المادة تروج لسلوكات العنيفة ، هنا يكون قد يكون الطفل و المراهق عرضة بدرجة مباشرة لممارسة أو تقليد تلك السلوكات ، فكم من حدث أطلق النار أو قتل جارء تقليده لفيلم أو رسوم متحركة.

وفي وقت غير ببعيد كان التلفيزيون يمثل أكثر وسيلة اعلامية انتشارا في كل دور العالم ، ولكن مع التطور التكنولوجي الذي نشهذه اليوم ، تغير هذا المعطى لصالح الانترنت ، فأصبحنا نتحدث عن فؤائد هذا الوسيلة و كذا سؤء استخدامها و مدى تأثيرها على الطفل و المراهق في نشرها لثقافات غير محدودة.

---

[7] - سهير فارس السوداني ، **البرامج التليفزيونية وقيم الأطفال** ،دار كنوز المعرفة العلمية ، عمان ، 2008 ، ص : 74.

[8] - زينب وحيد دحام ، **العنف العائلي في القانون الجزائي** ، المركز القومي للإصدارات القانونية ، القاهرة ، 2012 ، ص : 85.